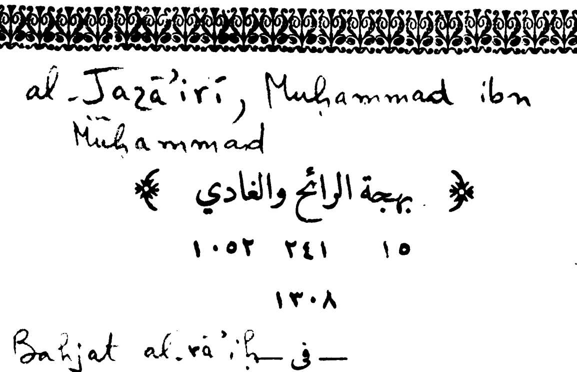


بهجة الرائح والغادي

١٥ ٢٤١ ١٠٥٢

١٣٠٨



— في —

احاسن محاسن الوادي

رحلة تحكي معانيها الصَّبا ومبانيها شذوراً من ذهب
اسفرت عن حسن اوقات لنا قد حلا ما مرَّ منها وذهب

لناسج بردها وناظم عقدها العلامة الأديب
والفهامة الأريب السيد محمد افندي المبارك
الجزائري حفظه الله



طبعت في بيروت سنة ١٣١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يا من تنزّه عن الحركة والسكون . وتفرّد ببديع الشئون في الظهور والبطون . ونصلي ونسلم على فاتحة الوجود وواسطة العالم . وخاتمة النبوة والرسالة سيد ولد آدم . من قدّمته على سائر الموجودات من القدم . فكان اكرم الخلق يدًا واعظم ساع على قدم . ونستهديك منائح رضوانك لعترته وآله . المتنقلين في بروج كماله ومروج جماله . وبعد فقد ضمّني نادٍ حفّه الانس والجمال . مع صفوة من خلاصة اهل الفضل والكمال . فازمعنا التنقل في أرجاء دمشق ذات النسمات الشذيه . لنتملّى بشهود رياضها البهية وورود حياضها الشهيه . فهي شامة تزهو بها وجنة المحاسن . وجنةٌ فيها انهارٌ من ماء غير آسن . ولله درّ من قال . وقد رتع في ظلالها وقال

واذا وصفت محاسن الدنيا فلا ... تبدأ بغير دمشق منها اوّلا
بلدٌ اذا ارسلت طرفك نحوَهُ ... لم تلقَ الاّ جنـة او جدولا

وقلتُ في ذلك مستمدًّا من فيض المالك

يمّمْ رياضًا في دمشق بهيجه ... تغنمْ من العيش الهنيّ بهيجه
وانعم بنظرةِ نضرةٍ في ظلها ... كي تجتني منها اجلّ نتيجه
بلدٌ بها ابدى الندى ترصيعهُ ... واجاد وشيُ ربيعها تدبيجـه
هي جنة الدنيا تبيح اخا الأسى ... تفريحـه وتنيله تفريجـه
ادواحها مخضرّة ارواحها ... مخضلة تنفي الجوى وأجيجه

ورياضها نفّاحة وحياضها سفاحة وغياضها منسوجه
ياصاح طف بالكاس في ارجائها فصفا رُباها كعبة محجوجه
وارتع بواديها فقد زان الحيا ببساط انوار الربيع مروجه
وادٍ جلا اقداحه عذبُ اللما فكأنها برضابه ممزوجه
لله ما ابهاه من وادٍ وما اسنى مرابعَ انسه وبروجَه

ومن ذلك قولي

اذا ضقتَ ذرعًا في البلاد فعُج على دمشق حمى الملهوف كهف مَلاذه
تنقّل بواديها فأن نسيمهُ يُميط عن المحرور فرطَ بَذاذه
وجُلْ في رُبَى ادواحها متمتعًا بأهنإ عيشٍ راق صفوُ لَذاذه
رياض بتيجان الأزاهر كُلّلت فرصّعها قَطر الندى برَذاذه
حكتْ جنةَ الفِردوسِ حسنًا ورونقًا ولولا التقى قال الورى هي هذه

وقلتُ ايضًا

قد غدتْ في وجنة الدنيا دمشق الشام شامه
جنةٌ طوبى لمن حلّ بمغناها وشامه
كم بها اغيدُ ريمٌ اخجل البدر وسامه
لا تراه صاح يوماً طلب الغيّ وسامه
كم بها حرٌّ كريمٌ في ذرَى يزهو كرامه
ان خطبتَ الودّ منه قال حبًّا وكرامه

وكان امير لوائنا وولي ولائنا هو العالم العامل والمرشد الكامل . الجامع لعيون الفضائل وفنون الفواضل . ذو الخلائق الهاشميه . والحقائق الحاتميه . غرة وجه العترة السنيه . وقرة عين الزمرة الحسنيه . من احيي القلوب بغيث مَدَده الصيّب . وانعش الأرواح بنفحِ ارَجِهِ الطيب . حضرة اخي واستاذي السيد محمد الطيب . ادام الله مجده وعلاه .

وحلّى جيد الوجود بعقود حُلاه

بأبي شمائله التي تجلو العلا ... ويدًا ترى البركات في حركاتها
مَنْ عدّها حسناتِ دهرٍ انني ... ممن يعدّ الدهر من حسناتها

واتفقنا على الخروج. الى بعض الأودية والمروج . وكان ذلك في اثناء فصل الربيع . الذي باهت الارض فيه السماء بنجوم الربيع

ما الدهر الاّ الربيع المستنيرُ اذا ... وافى الربيع تجلى النَّوْرُ والنُّور
فالارض ياقوتة والجو لؤلؤة ... والنبت فيروزجٌ والماء بلُّور

وما ارقّ قولَ الحاجريّ في نعت الربيع . وقد زانه بحسن التدبيج وبديع التصريع والترصيع

حلف الربيع بحسنه الفتان ... وتحرشِ الاغصان بالاغصان
وببهجة الزهرِ الأنيق اذا سرت ... انفاسُهُ مسكية الاردان
وبصفرة المنثور منه وحمرة الـ ... ـورد الجنيِّ وخضرة الريحان
وترنم الاطيار فيه كانها ... اصواتُ شادٍ مطرب الالحان
وترقرقِ الماء القراح على حصًى ... كالدر والياقوت والمرجان
لأُمتعن اخا الخلاعة والصبا ... مني باطيبِ عيشة وزمان

وقلت متفننًا في وصف صفوه . والقلب يتقلب ما بين سكر الهوى وصحوه

احسن باوقات الربيعِ ... فقد ازدهتْ بحلى الربيع
اوقات صفوٍ اسفرت ... عن طلعة الْحُسْن البديع
الارض تضحك ما بكت ... عين السماء من الخشوع
نظمتْ عقود الدر من ... منثور هاتيك الدموع
وجلا الربيع خمائلا ... خُضْرا على تلك الربوع
وجرى الهواء على بسا ... ط الماء في نسج الدروع

والبان مال مع الصَّبا يبدي له كل الخضوع
والزَّهر يرشف بكرةً دَرَّ الندى مثلَ الرضيع
والطير يشدو معجباً والغصن يرقص كالخليع
والغيث صبٌّ مدامعاً كمتيم صبٍّ صريع
والريح حنَّ فأنَّ من فرط الصبابة والوَلوع
فصلٌ له فضلٌ به يحلو جنى الروض المريع
بين الفصول زها سناً زَهْوَ الشموس على الشموع
فاستجلِ فيه مدامةً تطفي جوًى بين الضلوع
تحلو اغتباقا واصطبا حا في الغروب وفي الطلوع

فاجتمعنا صباحَ يوم الاثنين منتصف شهر شوال · عام ثمانٍ وثلاثمائة بعد الالف من هجرة بدر الكمال · عليه اسمى التحيات الزاكيات · واسنى الصلوات الطيبات المباركات . وسرنا على بركة الله تعالى الى بَرْزَه . وقد تبرجت كلُّ حديقة منها كغادةٍ بَرْزه . ونسيم الصبا يعبث بازرار ازهارها · وينثر منظوم عقودها على بساط انهارها

لا تمل عن رياض برزةَ يوماً فهواها شفاء كلِّ عليل
عزَّ صبري عنها وكيف اصطباري عن رياض فيها مقام الخليل

ولما وقفنا في مقام سيدنا ابراهيم الخليل · قلت متوسلاً الى الله بذلك النبي الجليل

في مقام الخليل فزنا بحالٍ نَمَّ عن سره الجليل وترجم
فهنيئاً لنا وبشرى بهذا الـ اب في الدين والنبي المكرم
سلَّم الأمر كله لوليّ الـ امر صلى عليه ربي وسلم

وبرز من هذه البلدة علماء اكابر · منهم عبد العزيز بن محمد المحدثُ وجماعةٌ من اصحاب ابنِ عساكر · فهي بلدة جليله · ذات رياض اريضة

وغياض جميله . ولقد اجاد الخل الوفي . والخدن الصفي . الأروع الماجد الكريم . السيد محمد افندي الحكيم . حيث قال في تشطير الابيات السابقه . لا زالت انفاسه بنشر الفضائل عابقه

في مقام الخليل فزنا بجال ... جاد فضلاً بـه لنا وتكرم
وحبانا من القِرى حسن عطف ... نمّ عن سره الجليل وترجم
فهنيئاً لنا وبشرى بهذا الـ ... كامل الفرد والرسول المعظم
فهو نعم الأمام هدياً ونعم الـ ... أبُ في الدين والنبيُّ المكرم
سلم الأمر كله لولي الـ ... خلق والأمر والتوكلُ اسلم
فاجتباه اليه لمـا اطاع الـ ... أمرَ صلى عليه ربي وسلم

وبذكر هذا الرفيق . والحر الرقيق . عنّ لي ان اذكر بقية الرفاق . حماني الله واياهم من لوعة الفراق . وهم الالمعي الاديب . واللوذعي الاريب . ذو القدر العليّ والمجد السنيّ . السيد عبد الباقي افندي الحسني . والعالم العامل الأوحد . الشيخ امين افندي الانجد . والشهم المتحلي بكل وصف محمود . السيد محمد خير المكنى بابي محمود . ومع الاستاذ نجلهُ المحروس . وشبله المأنوس . السيد جعفر الصادق . حققه الله بالقول الصادق . وقد قلت في هؤلاء الافاضل . الموسومين بجميل الفضائل وجزيل الفواضل

رفاقٌ لعمري ليس يشكو نزيلهم ... فراقَ حبيب او صدود صديق
فكل فتىً ضمتـه صحبتهم غدا ... اعزّ رفيق في اجلّ فريق
سراةٌ كرام لا يضام جليسهم ... لهم في طريق الخير خيرُ طريق

وكان خروجنا من المدينة على غارب العجله . فسارت بنا الى مقام الخليل في غاية السرعة والعجله . ثم امتطينا متون الخيول . وجرينا بها في تلك السهول جريَ السيول . وما زلنا نتنقل في وادي معربا بابتهاج

ونشاط • وقد بسط الربيعُ على الثرى الطف بساط • الى ان حللنا بتلك القرية العامره • وحللنا عُقَدَ الرحال في مرابعها العاطره • فنزلنا بشاطىء عينها الكوثريه • وادرنا اقداح سلافتها الجوهريه • وقلت في نعت تلك العين • التي تزيل الصدى والغين

لله عينٌ كدمع العين صافيةٌ   تشفي المعنى وتنفي غلة الصادي
بها مرابعُ وادي معربا ابتهجت   وطاب للقوم في ساحاتها النادي
حصباؤها من جمانٍ وهي جوهرةٌ   سيالةٌ قد جرت في ذلك الوادي

وقال في وصفها الصفي الحميم • السيد محمد افندي الحكيم

وعين بوادي معربا كوثرية   جرت في الحصى شبه اللجين على الدر
يروق عيون الرامقين صفاؤها   ويحكي سنا لألائها الكوكب الدري

واستعملنا بها قهوة الشاي الاخضر • المزري بشذاه على العبير والعنبر • فانجلى في لون ذهبيٍ تلذ بنضارة نُضارهِ العين • كانه سبائك عسجدٍ قد جليت في كؤس من لجين • والقرية المذكورة عذبة الماء ندية الثرى معتدلة الهواء • وكان منزلنا مشرفًا على رياضها النواضر • وغياضها التي تشوقُ القلوب وتروق النواظر

منزلٌ فيه كلُّ ما صبَتِ العيـــن اليه من بهجة وضياء

وقلت في هذا المغنى • حيث رقّ في وصفه اللفظ وراق المعنى

يا حسن مربع مَعْرَبا   يزهو بوادٍ مع رُبى
ان اعجمت ورقاؤه   ابديت لحنًا معربا
اضحى كلانا في الهوى   عما يعاني مُعرِبا

وقد نصبت لنا خيمة بهذا الربع الخصيب • تستهوي الباب الناظرين بشكل عجيب وطرز غريب • وهي قائمة بغير عمدٍ بابدع اتقان • على هيئة منزل لطيف له اربعة اركان • وفي كل ركن من تلك الاركان

باب . يفتح الى جهة من الجهات الاربع بأسباب . ولما راقني ما حوته من محاسن الاوصاف . قلتُ في ذلك وكأس الانس بالاحبة صاف

وخيمة ادهشت عقلي محاسنها ... فاقت جمالاً وراقت بهجة وسنا
تزهو على الكوكب الدريّ حين سمت ... فوق الربى فأرتنا منظرًا حسنا
كانها غرفة او روضة أُنفٌ ... يجرّ فيها الصبا من زهوه الرسنا
يصفو بها وقتنا في كل منزلةٍ ... نجني بها الانس او نستجلب الوسنا

وبتنا تلك الليلة نجتلي من بنات الافكار . ما يزهو برقته ولطفه على البنات الابكار . فما سكنت نغمة السمر . حتى هبت نسمة السحر . فاستولى النوم . على اجفان القوم . وزارنا زمرةٌ من الاخوان صبيحة اليوم الثاني . فشنفوا اسماعنا بما يفوق المثالث والمثاني . وكان بين اولئك الاحباب . شادٍ يستهوي بحسن نغماته الالباب . فاطر بنا بانشادِ موشحٍ فتح عليّ بانشاء ادواره في هاتيك الرحاب . ثم رجعوا مساء الى رباعهم . واودعوا الحشى حر الجوى بوداعهم . وقد مكثنا في منزل معربا ثلاث ليال . والاستاذ يمنحنا فوائد تفوق فرائد الدرّ واللآل . فكم اتحفنا بفصوص حكمه . واطرفنا بنصوص كلمه

لله درُّ ابن المبارك ... السيد السند المبارك
المفرد العلم الذي ... هو في المعالي لايشارك
لا زال ملحوظاً بعين ... عناية المولى تبارك

ثم سرحنا في مسارح ذلك الوادي . وشرحنا الصدور بورود زلاله الناقع غلة الصادي . وتوجهنا الى جهة منين . والقلب في شوق الى ربوعها وحنين . وما زلنا نرقى في هضابها . حتى نزلنا بفسيح رحابها . فعرّجنا على بعض ربواتها السنيه . المشرفة على رياضها العبهريه وغياضها السندسيه

ايا حسنها من رياض غدا   جنوني فنونًا بأفنانها
سعى الماء فيها على راسه   لتقبيل اقدام اغصانها

وهذه الربوة الفائقه . مُطلةٌ على عينها الرائقه . فقلتُ في تلك العين . التي تروق برونقها العين

ايا حسنَ عينٍ في منين تفجرتْ   بماء معينٍ قد حكى طعمه دَرا
بشاطئها مدّتْ بساطَ زُمرُّذٍ   تلوح حواشيه مرصعةً دُرا

﴿ وقال ذو الشرف الباذخ السني . السيد عبدالباقي افندي الحسني ﴾

لله نضرةُ عينٍ   تزهو سنًا كاللجين
عينٍ تفوق صفاءً   وبهجة كل عين
حصباؤها كالدّراري   تجلو دجى كلِّ غين

ولم نلبث ان صعد الينا من القريه . جملة من اماثل اهلها وافاضلهم دون مريه . وأمامهم إمامهم الامجد . وقدوتهم الهمام الأوحد . النبيل النبيه . والفقيه الوجيه . الشيخ محمد افندي ابن المرحوم الشيخ حامد . لا زال لله عز وجل اجلّ شاكر وحامد . فدعونا الى مغانيهم السعيده . ذاتِ البروج المشيّدة والقصور المشيده . ولما نزلنا بدارهم . وآوينا الى ظل جدارهم . عاملونا بصنوف الاكرام . وقابلونا بأنواع الاحترام . وكان نزولنا في دار ذلك الفاضل الماجد . لا برحتْ محطَّ رحال السادة الافاضل والقادة الاماجد . فأخذنا نتجاذب معه اطرافَ الحديث . ونتوارد طُرفَ ما استجدناه في القديم والحديث . فلله دره من اديب اريب . يلوح من بديع الفاظه كلُّ معنى غريب . وقصدنا هنالك مقام الوليِّ الكبير ابي الرِّجال . فأنشدت مستغيثًا بجنابه على البديهة والارتجال

اليك ابا الرجالِ لقد شددنا الـ   رحال لكي نعودَ بحسن حال

فمنّ بنظرةٍ وبحسن عطف علينا في نزول وارتحال

قال الذهبي في العِبر: ابو الرجال اسمه عبدالرحمن كان من ارباب الكشف والحال وله عظمةٌ في النفوس توفى سنة اربع وتسعين وستمائة يوم عاشوراء عن نيف وثمانين سنة ودفن في زاويته بقرية منين . ثم زرنا ضريح خاله الشيخ جندل . فقلت منتشقاً من شذاه ما يفوق الند والمندل

من زار قبر الشيخ جندل　　اردى العدو به وجندل
ولكم ألانَ بسرّه　　قلباً شديداً كان جندل

وقال حكيمنا مشطراً فاجاد وافاد . بلغه الله تعالى بمنه المنى والمراد

من زار قبر الشيخ جندل　　اسداه اسنى ما تأمل
ومن احتمى بجنابه　　اردى العدو به وجندل
ولكم ألان بسره　　خطباً عظيماً كان اعضل
ولكم امال بوعظه　　قلباً شديداً كان جندل

وقد ذُكر في فضائل الشام . ان هذا الحبر الهمام . كان من ائمة الطريق . وعلماء التحقيق . ومن كلامه: ما تقرب احد الى الله تعالى بمثل الذل والتضرع . توفى في رمضان سنة خمس وسبعين وستمائة ودفن في زاويته المشهورة بقرية منين . ومن هذه القرية الشيخ صالح ابو بكر محمد ابن رزق الله المقرى ومنها الامام المحدث ابو العباس احمد بن علي المنيني واخوه الشيخ عبدالرحمن المنيني . لحنا الله باكسير لحاتهم . ومنحنا من اسرارهم ونفحنا بنفحاتهم . وبينا نحن نرتع في رياض منين . وقد انسانا انسها ذكر الاهل والبنين . ورد علينا ثلاثة من الاحباب . فابتهجت بورودهم النفوس وانتعشت الالباب . وهم نخبة الفضلاء الامجاد . التقيّ النقيّ السيد انيس افندي الجلاّد . ونجله الاديب محمد عزت افندي . لا زال

ملحوظاً بعين عناية المعيد المبدي • ومعها ولدي عبدالقادر • تولاه بحسن رعايته الولي القادر • ولبثنا يومين في تلك المغاني الحسنه • نرصع الاوقات بجواهر المعاني المستحسنه • والاستاذُ الطيبُ متعنا الله بحياته قد عطر الارجاء بأريج نفحاته

طبنا بهـذا الطيب   رب الثناء الطيبِ
احيانفوس ذوي العلا   بحيا نـداه الصيب

وفي اليوم الثالث عزمنا على الحركه • وقد قيل في المثل (الحركة بركه)

تنقل فلذات الهوى في التنقل   ورِدْ كل صافٍ لاتقف عندمنهل
ففي الارض احباب وفيها منازل   فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل

وسرنا الى حلبونَ غبَّ تناول الغذاء • لاشتمالها على خفة الماء ورقة الهواء • وكانت المسافة اليها نحو ساعتين في المقدار • من طريق لطيف ساقتنا اليه رياحُ الأقدار • وجزنا على عين تسمى بعين الصاحب • فابتهجنا بها ابتهاج المرء بعين الصاحب • وارتشفنا منهـا زُلالاً ارقَّ من المدام • وازدحمنا على ورودها (والمورد العذب كثير الزِحام) • وحولَ هذه العين روض نضير • ليس له في المحاسن شبيه ولا نظير • احاط به جبلان يبهران الناظرَ بالطول والعرض • قد حجبا عين الشمس عن النظر الى تلك الارض . فلما فزنا بهذا المنظر الأجلى •ووردنا ذلك المورد العذب الأحلى • لبّينا داعيَ الراحة والنشاط • وادرنا راح الأفراح على بساط الانبساط • فالله ما اصفى ماء تلك العين • التي تزهو بنضرتها على النُضار والعين • وقد قلت في صفائها الفائق - ووصفها البديع الرائق

سر بي الى سربي بعين الصاحب   وانظر فديتك لي بعين الصاحب
وبشط تلك العين قف بي منشداً   ما رقَّ من ديوان شعر الصاحب

عين حلت فحكت عذوبة طعمها ... صهباء مازجها رُضاب كواعب
تشفي العليل بلطفها وبرشفها ... تنفي الغليل من الغرام الواصب
منها اجتلت شمس الضحى بافوتة ... يجلو سناها كل هم ناصب
طابت بها اقواتنا وصفت لنا ... اوقاتنا منها بصفو مشارب
تروي لنا عنها الصبا عهد الصبا ... كلفا بأوقات الشباب الذاهب
حصباؤها درر تروق وماؤها ... يجرى عليها كاللجين الذائب
وترابها يغري بمسك اذفر ... وحبابها يزرى بزُهر كواكب
وصفاؤها يجلو العنا وصفاتها ... تجلو لنا لغرائب ورغائب
تبدو جداولها كبيض صوارم ... وارقمٍ تنساب بين سباسب
تجري بوادٍ ذي وِهاد زاحمت ... اطواده شُهب العلا بمناكب
لو كنت انظم لؤلؤا او جوهرًا ... في وصفها لم اقض بعض الواجب
جمعت معاني الحسن الأ انها ... ترمي الأوام بكل سهم صائب
ويظل يشكو الجوعَ واردها ولا ... يرثي له ويرقُّ قلب الصاحب

﴿ وقال حكيمنا الأديب . وحميمنا الأريب ﴾

باهت عيونَ دمشق عينُ الصاحب ... وبما حوته تقرّ عين الصاحب
عرج فديتك نحوها يا صاح بي ... وادر كؤس لجينها يا صاحبي

وكما تناولنا في تلك الروضة البهيه . أنواعًا من الاطعمة اللذيذة والأغذية الشهيه . ولما ادينا صلاة العصر بفضل الجماعه . ايقنا ان الاقامة هناك تفضي بنا الى فرط المجاعه . فودعنا تلك العين وَداعَ اعزّ صاحب . ولا يخفى ما يقاسيه من غاب عن عين الصاحب . وصعِدنا الى البلدة المذكوره . فسعِدنا برؤية آثارها المأثوره . وعجنا على بعض العيون . التي تستنير ببهجة صفائها العيون . ومن الطفها عين الفاخوخ . التي تعيد نشاط الشباب الى الشيوخ . وقد قلت في وصف

تلك العين . التي تنفي ببرودتها حرارة الغين

جلت عين فاخوخٍ لنا كؤس المنى فكانت نخوخاً للنفوس واشراكا
عكفنا عليها وهي عين حياتنا ولم نرَ هذا في الحقيقة اشراكا

وقال حكيمنا الفاضل . الفاضح في حلبة البيان كل مناضل

حلت عين فاخوخ مذاقا وقد زهت صفاء وراقت كل عين وناظر
ولم تنظرِ العينانِ مثلَ صفائها وان رمت برهاناً تعالَ وناظر

وادرنا بها من الشاي سلافةً ذهبيه . تزهو على ابنةِ البن وتهزأ بالقهوة العنبيه . قد امتزجت باجزاء النفوس رقةً وصفاء . وكادت ان تطير من الكؤس وتستحيل هواء . فقلت في وصف ذلك الشراب اجمالا . حيث فاق نشراً وراق حسناً وجمالا

يا حسنَ شاي لاح في بلورةٍ يزهو كتبرٍ في لجين رائق
اداره الساقي على الندمان في «زينة معشوق ولون عاشق»

وكان منزلنا في ربوة ناضره . ذاتِ نفحات شذية عاطره . حولها جبال تزدهي بالسنا والسناء . يخيل للناظر انها متصلةٌ بعنان السماء . ودونها خمائلُ ورياض . وغياضٌ ذات حياض . ظلها ظليل . ونسيمها بليل . قد ادارت من رائق زُلالها خمرة بابل . واثارت لواعج الغرام بتغريد العنادل والبلابل . فجادت القريحة القريحه . وقلت في صبيحةٍ صبيحه

وربوةٍ ذاتِ مغانٍ شائقه تزهو سناً بين جبال شاهقه
تنتعش الارواح من ارواحها لطيبِ اخبارٍ روتها رائقه
اطيارها فاقدةٌ تشكو النوى انهارها تبكي عليها دافقه
فكم ادرنا من احاديث الصفا بها واوتارُ التهاني ناطقه
وكم نظمنا من لئالي وصفها قافيةً في الحسن اضحت فائقه

وقد رأينا في هذه البلدة بعض الفضلاء الاخيار . فروينا عنهم

ما يعذب ايرادُه من لطائف الاخبار • وهم ينتسبون الى سلطان الاولياء • وترجمانِ امام الرسل وخاتم الانبياء • حضرة القطب الرباني • والغوث الصمداني • سيدِنا وسندنا الشيخ (عبد القادر) الجيلاني • افاض الله علينا من عوارف معارفه • وانار قلوبنا بشموس اسراره ولطائفه • وغبَّ ليلتين حللنا الحبوه • ونزلنا من ذِرْوة تلك الربوه • فيممنا عند الصباح قرية بَسِيّمه • وقد ارسل دوحها العاطر لاستقبالنا نسيمه • فلما تجلت لنا روضة مرجها الخضراء • وجلت علينا عرائس الحسن بهجةُ عينها الخضراء • الفينا منهلاً عذْباً للوراد • ومنزلاً خصباً للروّاد • وجنةً فيها من كل فاكهة زوجان • تزري ازهارُها بعقود اللؤلؤ وقلائد المرجان • فيا لها من حديقة ذاتِ عيون وظلال • خلع الربيع على افنانها خلع الملاحة والجمال • قد تأنق واشيها • في ترصيع درّ حواشيها • فادهشتنا بما اشهدتنا من حسنها الفائق • وانعشتنا بعرفها الشذيِّ ونسيمها الرائق • فولعنا بها ولع النشوانِ بارتشاف الكوب • وارتحنا لها ارتياح الولهان بانعطاف المحبوب

لمَ لا اهيم على الرياض وطيبها ... واظلُّ منها تحت ظلّ ضاف
والزهر يضحك لي بثغر باسم ... والنهر يلقاني بقلب صاف

ومددنا سُرادق خيمتنا البهيجه • بين عين الخضراء ونهر الفيجه • فقلت في نعت تلك العين الزبرجديه • المزدانة بربيع مرابعها ومراتعها النديه

لم يَزْه بالبيضاء والصفراء ... مَنْ شاهد الخضراء في الغبراء
عين حلا للعين منظرها فما ... ابهى وابهج نضرةَ الخضراء
عين غدت حصباؤها تزرى سناً ... ومحاسناً بكواكب الخضراء
عين تسيل على بساطٍ زاهرٍ ... بأزاهرٍ كاللجة الخضراء

عين ادار البدر من سلسالها　　كأساً صفا كالدرة البيضاء
قد شعشعته بريقها شمس الضحى　　فزهـا على الياقوتـة الحمراء
يا راكب الشهباء عرج بي على　　بطحائها يا راكب الشهباء
بطحاء في ميدانها السامي غدا　　بردى يجاري فارسَ الشقراء
بطحاء نمّ عبيرهـا وربيعها　　عن طيب ريّا نفحة البلقاء
بطحاء تُنبت لؤلؤاً وزبرجداً　　يهدي النواظر مقلة الزرقاء
بطحاء ذات خمائل من سندس　　نسجت بأيدي الديمة الدهماء
بطحاء زانتها رياضٌ زهرها　　يزري بزُهرِ الليلة السوداء
لعب الصَبا بغصونها لعب الصِبا　　بمعاطف الحسناء كالصهباء
فتمايلت افنانها كالقامة الـهيفاء　　او كالصعدةِ السمراء
فاغنم هنالك فرصة لا تشترى　　وابيك بالبيضاء والصفراء

وقال اديب الحكماء . وحكيم الأدباء

عين يفوق على اللجين صفاؤها　　تدعى اخا الندمان بالخضراء
في مرجة راقت سناً ونضارةً　　كخميلةٍ من زبرجدٍ خضراء
ازرت على زهر العلا حصباؤها　　فلذا زهت عُجباً على الخضراء

وقال رفيقنا المحترم . الشيخ امين افندي المكرَّم

عرج اخا ودي على الخضراء　　واستجلها في الروضة الخضراء
عين غدت تجري جداولها على　　درر تحاكي الانجم الخضراء
وادر بها ياصاح اقداح الهنا　　فزلالها يغني عن الصهباء
واغنم اويقات السرور فانها　　فُرَصٌ تروق بغفلة الرقباء
فالدهر مدّ لنا بساط ربيعه　　وامدنا من صفوه بصفاء

وقضينا سحابة ذلك النهار . في انتشاق طيب الرياحين والازهار . نتعاطى اقداح المحاضره . ونتجاذب اذيال المحاوره . ولما جنّ الليل .

وجرّ الصبا من فرط زهوه الذيل • اخذنا في سمر • ارق من نسمات السحر • والاستاذ حفظه الله يجلو الاوهام • بما يحلو للافهام من لطائف الالهام • فاجتلينا قلائد الجواهر من رقائق عباراته • واجتنينا فرائد الازاهر من دقائق اشاراته

وملأْنا السمع منه كل ما   يحسد القلبُ عليه الأُذنا

ثم ضرب النوم على الآذان • واستهوانا الوسنُ حتى نبهتنا نغمة الأَذان • فصبحنا غبّ الاصطباح قرية الفيجه • وسرحنا الابصار في شهود محاسنها البهيجه

يا لها جنةً بدت كعروسٍ   لم يكن حسن حليها مستعارا

ولما شممنا بشرها البهيج • وشممنا نشرها الأَريج • احاتنا محل عينها • واعاتنا بكاس لجينها • فقِلتُ مع رفاقي في ظلها الظليل . وقلت اذ صحّ مزاجي بنسيمها العليل

عرج على ارجاء عين الفيجه   وانشق شذا ذاك الحمى واريجه
ربع ذكا من طيبه نشر الصبا   وبه غدت سبلُ الصبا منهوجه
اشجاره كزبرجد ازهـاره   من عسجد ايدي الندى تتويجه
هو شامةٌ في وجنة الشام التي   هي جنة وبها النفوس بهيجه
لو شامه يوماً ابوزيد لمـا   شدّ السروج لكي يزور سروجه
كم عرج الساري على ارجائه   سحرًا فاصبح حامدًا تعريجه
عاطته اقداحَ الصفاء حدائقٌ   اجرى بها وبلُ الغمام ثجيجه
فاضت به عين لقد اجرى الحيا   منها الى مغنى دمشقَ خليجه
عين جرت تحكي اللجينا ذائبـاً   وجلت من الروض البهي بهيجه
عين كست تلك الغصون مطارفًا   ولكم حبت أُملودَها دُملوجه
عين تفوق العين نضرتها فكم   كربٍ افاد شهودهـا تفريجه

عين بها افترت ثغور دمشق عن — درر حسان في الرياض بهيجه
عين بها كانون اجرى دمعه — مذ مزقت ايدي الرياح ثلوجه
لله ما قد سال من سلسالها — يا ما أحيلا في فمي أبلوجه
منها بدا قطر الندى بل الصدى — لفتى شكا حر الجوى واجيجه
تستل منها الشمس بيضا والصبا — اضحى يجيد من الدروع نسيجه
قد كاد بدر التم لما ان رأى — فيها محاسنه يعاف بروجه
لكنما بردى يكدر صفوها — والدهر يبدي في الصفاء مريجه
نهر بها القى عصا تسياره — يرجو بحسن جوارها ترويجه
قد خال جهلاً انه كفوء لها — فصبا الى تجويزه تزويجه
لما رأته خاطباً متردياً — بسبيجة هي في العيون سميجه
ابدت له بعض النفور تعززاً — بعد السفور فأوجبت تهييجه
وغدت من الاعجاب تثني عطفها — والتيه كم اورى الهوى وهجيجه
فكانها تبدي التدلل كلما — ابدى التذلل واستطال نشيجه
وقضت له اوطاره لما سلا — اوطانه وجداً وجاب مروجه
مزجت لذيذ مجاجها بأجاجه — كم لذة بمرارة ممزوجه
فنفت غليل شج عليل بعد ما — قاسى من الوجد الاليم وهيجه
لولا حلاها ما تمثل طائفاً — بدمشق يبدي كالحجيج عجيجه
يزهو بها زهو امرئ قد غاص في — عين الحقيقة فاستطاب ولوجه
هذا وقيل بان ذاك لحكمة — تبدي لاهل الذوق حسن نتيجه
ضمن اعتدال مزاجها بمزاجها — كيما تكون له اجل وليجه
فالان قسوة مائها لما رأى — من ذلك الصخر الاصم خروجه
فانظر بعين الاعتبار اخا النهى — حكماً تجلت لي بعين الفيجه

وهذه العين تنفجر من اعلى تلك التربة اللطيفه . ثم تندفق بين

رياض وغياض ذات ظلال وريفه . وبعد جريانها قليلاً على حصباء كالفرائد . يقابلها بَرَدى وهو نهر منبعه قُرْبَ الزبداني متكدر الموارد . فتصادفه في طريقها بين ازهار ورياحين . بيد انها لا تمتزج به الاَّ بعد حين . فيلوح منها للناظر جداول تتلوى على صفحة ذلك النهر تلويَ الاراقم . وتنثني تثنيَ الاغصان رنحتْ اعطافها ايدي النسائم . فكانهما نهارٌ غشيه الليل . او حسناء طغي عليها السيل . وقد اوماتُ في القصيدة الى هذه الحاله . واتيت في ذلك بما تستحليه النفوس لا محاله

﴿ وقال السيد الحكيم . صانه العليّ الحكيم ﴾

عرج على الفيجة الفيحاء يا صاح — وارشف رُضاباً حلا من ثغرها صاح
وأرسل الطرف يجني الظرف من كثبٍ — ويجتلي انس وادٍ حسنه ضاحي
وروّح القلب في روض زكا وزها — بنغمة الورق في افنان ادواح
واستنشق الرّوح في ارجائها سحرا — فيزدهيك بنشر منه فياح
وارتع بروضاتها طوع الهوى مرحاً — واغنم بها صفو امساء واصباح
باكر صبوحك فيها غير مكترث — بقول لاحٍ على اللذات ملحاح
وعاطني اكؤساً منها مروّقة — فأنّ سلسالها يغني عن الراح
يا حسن يوم وردناها فاوردنا — منها سلافَ مسراتٍ وافراح

وقد اكثرنا من شرب الشاي في هذا المغنى الوسيم . لما اشتمل عليه من عذوبة الماء ولطافة النسيم . وكنا نستعمله في كل مربع مادت موائده . وصفت موارده وامتدّت لاخوان الصفاء موائده . وراينا له من المزايا المعجبة . ما يقضي بتقدمه على سائر الاشربة . فهو يباري ويباهي دولة القهوه . بحسن اللون ولذة الطعم وطيب النشوه . الى غير ذلك من المآثر المأثوره . التي يحلو مرور ذكرها منظومةً ومنثوره . ولما لاح في الكؤس يزري بالشموس رونقاً وحسنا . اسودّ وجهُ القهوة واحترقت

احشاؤها هما وحزنا • فقلت شاهداً له بالتفضيل • وما اجمل الإجمال في وصفه والتفصيل

قهوة الشاي وهي الطف قهوه ... لم تدع لي في قهوة البن شهوه
ابسوداء يعدل الشاي وهو ال ... شاه كلا لتلك اعظم هفوه
لو درى الناس ماله من مزايا ... ما خطوا نحوها لعمرك خطوه
ما ابنة البن في الحقيقة الا ... من جواريه صادفت حسن حظوه
وحوت دولة لذى كل حبر ... ماجد كان في المكارم قدوه
لكن الشاي بغية القوم إما ... عقدوا في مرابع البسط حبوه
او دعاهم داعي الهناء الى مو ... رد صفو في روضة فوق ربوه
فهو ابهى لونا واشهي مذاقا ... وهو اذكى نشرا واعظم نشوه
طاب بالسكر اللذيذ شرابا ... فأديرت اقداحه وهي حلوه
ونما فضله بحسن قبول ... في قلوب لها مع الله خلوه
راحة ينعش النفوس ارتياحا ... فلها هزة اليه وصبوه
يشرح الصدر بهجة وسرورا ... لذة السكر لا تعادل صحوه
كم اراق الصهباء من كان يهوى ... شربها عندما احتسى منه حسوه
فأدر صاح منه كاسا دهاقا ... ليس لي عنه يابن ودي سلوه
وارتشفه على بساط نشاط ... منشدا من اشعار قيس وعروه
وانتهز فرصة من الدهر واصحب ... صفوة قد جلت من العيش صفوه
راقها الشاي حيث راق صفاء ... وهزار الافراح ردد شدوه
فاجتلته على رخيم المثاني ... في رياض ابدى بها الزهر زهوه
منه نوع زبرجدي اذا ما ... لاح في الكاس شمت ماء وجذوه
نم عن عنبر به وعبير ... بشذاه دعا الورى خير دعوه
وحبا الصب واردات التهاني ... من حبيب رثى له بعد جفوه

ذاك اعلى انواعه عند قوم ما ثنتهم عن خلوة الود جلوه
ذاك اسنى الاسباب في جمع شمل الا انس ياذا الوفا واوثق عروه
ذاك عين الاكسير معنى بعيد الـقبض بسطا والذل عزًا وسطوه
درهم منه رد قنطار هم فرحًا قد جلا عن القلب شجوه
فتعاطاه كل حر رقيق كان للناس فيه احسن أسوه
ينجلي في الكؤس شبه نضار في لجين يولي الفتى اي ثروه
او كشمس قد اشرقت في بدور مذ تجلت جلت دجى كل غفوه
يا له من زمرد عاد تبرًا فاكتسى الكاس منه احسن كسوه
كللته فرائد من جمان ربما خالها اخو الجهل رغوه
كم له في الورى منافع لكن لم يشنها اثم مشوب بقسوه
يبهج النفس ينتج الانس حالاً يورث الهضم يطرد الهم عنوه
ولذا نيل منية النفس فيه ينبغي شربه مساء وغدوه

وحيث اومأت الى محاسن الشاي بلطيف الانشاء والانشاد . فها انا اعزز ذلك بجملة يجمل ايرادها على سبيل الاستطراد . قد ورد انه يسمى في لغة اهل الصين آت ويسمى في الحجاز بالشاهي وفي المغرب بالأتاي والجيد منه هو الجديد النقي الثقيل وزنه المتساوي ورقه الذي ليس له حرافة شديدة ولا سيما اذا كان جيد الجفاف وهو نوعان اخضر واسود فالاول حار يابس والثاني حار رطب وكل منهما له اصناف كثيرة فاهل المغرب يميلون الى استعمال الاخضر الجيد واهل المشرق يألفون الأسود غالبًا واهل الحجاز يستعملون النوعين وربما اداروهما في مجلس واحد . وكيفية استعماله ان يغسل الاناء غسلاً جيدًا بماء حار فيوضع فيه الشاي ويصب عليه الماء القراح المغلي حالاً فيغطى بمنديل نقي برهة يسيرة ثم يضاف له من السكر الطيب

قدر الحاجة وبعضهم يضع السكر والشاي معاً . وينبغي ان يكون شربه في اوقات الصفاء غب تناول الغذاء بنحو ثلاث ساعات وهو مطيّب للنكهة مهضم للطعام مقوٍّ للمعدة والدماغ محلل للاورام فاتح للسدد والمسام مدرٌّ للبول منبه للاعصاب مثير للحرارة مفرح للنفس معين على السهر نافع لداء القولنج ولوجع القلب والصداع وضعف البصر وخصوصاً الاخضر فانه منعش محسّنٌ للّون منشط للاعضاء موافق للسمان الثقيلة ابدانهم البطيئة حركاتهم وللمتعاطين الاغذية الدسمة ويناسبه العنبر جدًّا

وما ابدع قول العالم الفاضل . والماجد الكامل . الشيخ عبدالجليل افندي المدني الشهير ببرّاده . وقد نوه بفضل الشاي وقدم على دولة البن برّاده

اری کل ما تحوي مجالس انسنا جنوداً لدفع الهم سلطانها الشاهي

وليس لها امرٌ يتم بدونه وهل تمّ امر للجنود بلا شاهي

وبتنا تلك الليلة في غرفة عاليه . ننتشق من نفحات الازهار ما يفوق الندّ والغاليه . ولما تنفس الصباح . وهتف بنا داعي الفلاح . اجبنا المنادي . وازمعنا الرحلة من ذلك النادي . فودعنا تلك الجنان . واودعناها الروح والجَنان . ومما وقع لنا في هذه الرحلة العجيبه . من الاتفاقيات المدهشة والموافقات الغريبه . اننا ما دخلنا بلدةً الاّ صادفنا بها فرحا . وعروساً تُزفّ الى بعلها وهي تميس تيهاً ومرحا . وما اشرفنا على قرية من تلك القرى . الاّ قابلنا اهلُها بكمال البشر وحسن القِرى . فنلنا بتوفيق الله في هذه الرحلة . اكرم منة منه تعالى واعظم نِحلة . ورأينا من الخير والبركه . ما يدل على يُمن هذه الحركه . وذلك كله ببركات سيدنا الاستاذ ذي الحرمة والجاه . لا زال غيثاً مَعيناً وغوثاً

مُعيناً لمريد النجاح والنجاه . وقد عدنا الى المدينة من طريق دُمّر . فاخذنا نطوي شقة البين بايدي الجياد الضمَّر . وعند ما لاحت لنا اعلام تلك القرية الزكيه . واشرفنا على هاتيك الادواح ذات الارواح الذكيه . عاينتِ الاحداقُ منها حدائقَ ذاتَ بهجه . فجلتْ لنا من اقداح الصفاء ما انعش كل مُهجه . وما احسن الابيات التي انشاها في وصفها امير العلماء . وعالم الامراء . خاتمة المحققين . ونادرة المدققين السند السني والسيد السري . مولانا الاميرُ «عبدالقادر» الحسنيُّ الجزائري . نفحنا الله بنفحاته . وامدنا باسراره ونفعنا ببركاته . وقد كنت شطرتها باشارته الكريمه . وها انا اثبتها بتشطيرها حرزاً لهذه الرحلة وتميمه . وهي هذه

«عج بي فديتك في اباطح دمر» نرتع بواديها البهيج الاخضر
وادر سلاف الانس في ربواتها «ذات الرياض الزاهرات النُضَّر»
«ذات المياه الجاريات على الصفا» كفرائـد من لؤلؤ او جوهر
تصبو النفوس الى ورود حياضها «فكانها من ماء نهر الكوثر»
«ذاتِ الجداول كالاراقم جريها» تسبي النهى حسناً بابهى منظر
هي جنة مولاي ابدع صنعها «سبحانه من خالق ومصور»
«ذات النسيم الطيب العطر الذي» يحكي بنفحته عبيرَ العنبر
فانشق اخا ودي شذاه فانه «يغنيك عن ندٍ ومسك اذفر»
«والطير في ادواحها مترنمٌ» ابداً ترنمَ والهٍ متحير
كم هيج الاشجان من اهل الهوى «برخيم صوت فاق نغمة مِزهر»
«مغنىً به النساك يصفو حالها» فتفوز فيه بكل حظ اوفر
اوقاتها ابداً تراها تنقضي «ما بين اذكار وبين تفكر»
«ما شئت ان تلقى بها من ناسك» متاسف متلهف متحسر

اوباسط كف السماحة والندى «او فاتكٍ في فتكه متطور»

«أين الرصافة والسدير وشعب بوان من الروض النضير العبهري

بل ما بها من حسن اشكال والوان اذا انصفتني من دمر»

وللامير «رحمه الله» بهذه القرية مربع آهل . رحب المنازل عذب المناهل . يشتمل على دارين وسيعتين . ودائرتين بديعتين . احداهما لآله واسرته الشريفه . والاخرى لمن استظل بظلال رافته الوريفه . وكلتاهما رفيعة المباني والقصور . يعترف البليغ بالعجز عن وصفها والقصور . احدقت بهما حدائق وخمائل . وجداول كانها صوارم تدلت اليها من الغصون حمائل . وقد اخترع (طاب ثراه) في بعض رياضها فواره . كانها نبراس عكست الرياح شعاعه على مناره . وبعد انتقاله الى فراديس الجنان . روح الله روحه بالروح والريحان . انشأ انجاله الكرام فوارة اخرى تقر بها العين . كانها صعدة من ماس او سارية من لجين . فدعيت يوماً مع خاصة الاحباب الى ارتشاف زلالها . واقتطاف ثمرات الانس من روض جمالها . فقلت في وصف صفوها البديع . الذي تقصر عن بيان معانيه بنان البديع

راقت فراقت بالملاحة ناظري فوارة فاقت بحسن ناضر

في دمر ذات المحاسن في حمى عين الندى والفضل (عبد القادر)

يا حسنها فوارة في وردها انس النفوس وبهجة للخاطر

تحكى عموداً صيغ من بلورة بيضاء ذات سنا يلوح لناظر

بل تنجلي كمنارة من فضة تسبي النهى بسناحلاها الباهر

او راية من سندس قد رصعت بفرائد تزهو بروض زاهر

او صعدة من لؤلوء مذ هزها ريح الصبا خفقت خفوق الطائر

او نخلة درية قد ساقطت رطباً جنياً في مثال جواهر

او شمعةٍ عبث الصبا بلهيبها ... في ربع انس زاهرٍ بازاهر
او حيةٍ رقطاء قد قامت على ... ساق تدورُ كمستهام حائر
او هائمٍ نشوانَ رنحه الهوى ... يشكو ويشدو كالحمام الهادر
او غادةٍ نشرت ذوائبها على ... جسدٍ تكوّن من اللجين فاخر
لبست من الدر المصون غلائلاً ... شفافةً نمت بسر سرائر
سطعت اشعةُ نورِها فكانها ... تسطو على شهب العلا ببواتر
لعب الصبا بقوامها لعب الصبا ... طرباً باعطاف الغزال النافر
واجاد نسج دروعها واجده ... حذراً عليها من سهام نواظر
كادت تطير مع النسيم لطاقة ... لولا قبابٌ أُحكمت بدوائر
فهمت اشارات الهواء عن الهوى ... فهمت مدامعها كسيل هامر
ترنو الى وادٍ بهيج قد زها ... حسناً ونمّ بطيب نشر عاطر
ما امّ ساحتها الندية زائرٌ ... الاّ وقالت مرحباً بالزائر
لا زال طالع سعدها يزهو سنا ... ببدور تم قد سمت بمآثر
اشبال سيدنا الامير الفرد من ... هو في الحقيقة سر اكمل ظاهر
صلى عليه وآله رب الورى ... ما فاض نائله كبحر زاخر

وقال في وصفها الصفي الحميم . السيد محمد افندي الحكيم

احسن بفوارةٍ راقت محاسن في ... قصر الأمير الذي ابقى الثنا اثرا
كبانةٍ من لجين نورها بهجٌ ... ما هزها الريح الاّ ساقطت دررا
او غادةٍ مزقت اطواقها فهوى ... منها فرائد درّ تبهر البصرا
او شمعة حركت منها الصبا لهباً ... فكان من ذوبها الفضيّ ما انهمرا
او قينة رقصت في روضة أُنفٍ ... تشدو بلحن رخيم يزدري الوترا
يا حسن قصر زها بين الرياض سناً ... بأنجم من بني شمس العلا الامرا
سلالة الفرد عبد القادر الحسني ... له مآثرُ تتلى بعده سورا

لا زال روضُ نداهم يانعاً نضراً   ما فاح مسكُ ختام في الربى عطرا

وقد انشأتُ في مدح حضرة الامير المشار اليه . ما حظي بحسن القبول لديه فاستوجب مزيد الاقبال عليه . فمن ذلك القصيدة المقصوره . التي اضحت على ذكر مناقبه مقصوره . وهي هذه

رماني زماني بسهم النوى   واضرم في القلب نار الجوى
الى كم أُقاسي خطوباً له   اطالت عليَّ سوادَ الدجى
كاني قذاةٌ باجفانه   يروّعني بصروف الرّدى
لقد ضقتُ ذرعاً فما حيلتي   وها رُكنُ صبري وهى فهوى
واين المفرّ ومن التجي   اليه فيدرأ عني الاسى
فوا لَهَفي ذاب جسمي ضنىً   بحب رشاً صاد أُسْدَ الشَّرى
غزالٌ غزا مهجتي فاسترقّ   قلبي وما رقَّ لي وارعوَى
وما ضرّهُ لو حبا صبّه   بكشفِ اللثام ورَشْف اللمى
علامَ احلَّ دمي عامداً   وحرّم وصليَ طولَ المدى
وماليَ ذنبٌ سوى حبّه   وذكري له صاح دون السِوى
ومن عجبٍ انني اشتكي   اليه ومنه غدا المشتكى
واهوى عذوليَ في ذكره   له اذ جلا راحَ انس حلا
اخلايَّ اَوْدَى النوى بي فهل   فتىً منكمُ مسعدٌ في الهوى
فحتّى متى كلّما مقلتي   همت شبّ في القلب جمر الغضى
فطرفي غريقٌ وفي مهجتي   حريقٌ تلهَّب منه الحشى
ابيت الليالي حليف السُّها   اراعي من الوجد نجم السُّهى
فياليتَ بدري يجود ولو   بطيف خيالٍ يبُلُّ الصدى
وانّى يرى الطرفُ طيفَ الحبيب   هيهات وهو عدو الكرى
لعمريَ عزّ التلاقي به   كعزّ حمى السيد المجتبى

ربيع العباد رفيع العماد ... مربع العهاد منيع الحمى
هو الغوث عبد القادر الا ... مير الشهير العلي الذرى
هو السند الفاضل المرتجى ... نداه اذا اغبر وجه الثرى
هو الاسد الباسل الملتجى ... اليه اذا اشتد حر الوغى
هو المرشد الكامل المقتدى ... بسيرته في سبيل الهدى
الى الباز سلطان اهل الولا ... له منهج يستميل الحجى
وللشاذلي اقتفى فاقتنى ... علوما بها وقته قد صفا
ومن مشرب الحاتمي ارتوى ... فاضحى اماما به يقتدى
مواقفه من فتوحاته ... تصوغ فصوصا لاهل النهى
فلله در فتى ماجد ... مزاياه تزري بزهر الربى
عن البحر يروي لنا فضله ... واخلاقه عن نسيم الصبا
تقلد سيف الوقار كما ... تحلى بحسن لباس التقى
اليه انتهى الفضل فهو الذي ... تشد اليه ركاب السرى
ولا عيب فيه سوى انه ... قد استعبد الحر منه الندى
ولا غرو في مفرد جمع الا ... فضائل وهو ابن خير الورى
امولاي عطفا على قاصد ... يؤمل منكم بلوغ المنى
وحاشا يخيب نزيلكم ... ومن فيضكم يستمد الحيا
ودونكم غادة قد غدت ... تجر اليكم ذيول السنا
وقد نشأت وهي مقصورة ... على نشر حمدكم في الملا
عسى ان تفوز باقبالكم ... وتلحظ منكم بعين الرضى
ادامكم الله كهف الورى ... بجاه محمد المصطفى
عليه صلاة من الله ما ... بدا بدر تم بافق العلا

كرامة لهذا السيد الاجل . والسند العارف بالله عز وجل

تزاره قُبيل وفاته سيدي الاخ الشقيق الشفيق . الذي تشرفتُ بصحبته في هذه الرحلة المباركة فالفيته الرفيق الرفيق . فأرسل لي « رحمه الله » معه هذا اللغز . وقد نعي به نفسه الكريمة للأحبة بالطف رمز

الا خبروني اين ضلت عقولكم　　وقد رمتمْ طرّا لأنفسكم ضُرا
وكلكمُ اضحى يؤمل دائماً　　لعمريَ هذا الشرَّ اعظمْ به شرا
على انه يجفوه اهلُ ودادِه　　ومن مسّ هذا الضرُّ هيهات ان يبرا

وعند ما ورد عليّ هذا اللغز منه . قلت بتوفيق الله تعالى مجيباً عنه

ايا سيداً رقت معاني رموزه　　ودقت فلم يُدرك لها ذو الحجى سرا
لقد صغت لغزاً حار فيه اخو العلا　　ولم يُلْفِ من بوليه من طيه نشرا
وما هو الاّ كنزُ درِّ معارفٍ　　له رصدٌ يحمي جواهرَه قَسْرا
فجلتُ بفكري في دقائق سرّه　　لأجلو عن معنى بلاغته السترا
فأيقنتُ من بعد التأمل انّه　　هو الكِبَرُ المستلزمُ البأسَ والضرا
وهذا لعمري ليس يُرقى سليمه　　ولكن ينالُ الأجر ان احرز الصبرا
فأسأل ربي ان يطيلَ بقاءكم　　ويحفظكم مما يسوء الورى طُرا

فاستحسن مني « قُدِّسَ سرُّه » هذا الجواب . وقال لي هديت بعون الله تعالى الى الصواب . ولولا قصد الاختصار والايجاز . لجلوت من عوارف معارف هذا الامير الخطير ما يتحلى بفنون الاعجاز . فارجو الله سبحانه كما جمعني به في هذه الدار . ان يحشرني واخواني في زمرته تحت لواء النبيِّ المختار . وبمناسبة ذلك اللغز الذي رقّ مبناه ودقّ معناه . فتحير لعمري ارباب الالباب في حلّ رمزه وفهم مُعمّاه . سنح لي ان اعزّزه بلغز ربما خفي سره عن الفطن اللبيب . مع أني صرّحت فيه بذكر الاسم المطلوب للاديب الاريب . وهو هذا

الا خبروني يا ذوي الفكر والحجى　　بما ليس يعرى عنه شيءٌ مدى الدهر

هو اسم له من قبل نشأة آدمٍ وجود ومن قبل الملائكة الغُرّ
يحدّث عن اشياء طَوْرًا بمفرد وآونــةً يومي بجمع الى وتر
ومن عجبٍ منه حديثٌ وبعضه قديم ومنه ما يزين وما يزري
وفي قلبه ظَرف تحنّ بنو الهوى اليه لكي تحظى بوصل اخي البدرِ
اذا ما تسامى بالتصدر قلبهُ فمولىً به ناهيك من ولد بَرّ
ويبدي بقطع الرأس منه وعكس ما عداه زمانًا قد تقضى من العمر
وها انا قد اعربتُ عنه وربما غدت شدةُ الاظهار اكتم للسرّ

ثم لم نزل نجوبُ ذلك الوادي برقائق اللطائف والظرائف • ونتيه بما يمليه علينا الاستاذ « ابقاه الله » من حقائق العلوم والمعارف • حتى انتشقنا نسيم الربوه • فاستفقنا من الخلاعة والصّبوه . وما الطف قولَ من وصفها • ونوّهَ بحسن شمائلها فأنصفها

رعى الله اوقات الربيع بجلّقٍ وحيّا الحيا ارجاء ربوتها الغنا
اذا حركت ارواحها شجو عاشق تحاكيه في اللحن البلابلُ اذ غنا
ويذكو بها نشرُ النسيم اذا سرى فتذكو تباريحُ الغرام الذي جنا
وتطّرد الانهار فيها كأنها سوابقُ افراس اعنتها تُثنى
فكيف يلام الحازم الرأيِ ان صبا الى ظلها الألمىَ وقد اشبهت عدنا

ولما وطئنا بساط المرجة الخضراء . واجتلينا من نقود ازهارها البيضاء والصفراء . قوضت الرحلةُ بحمد الله خيامها • فكانت نُهزةً من اعمارنا احسن الله ختامها

لله اوقاتٌ تقضت لنا ما كان اسناها واهناها
مرّت فلم يحلُ لنا بعدها شيءٌ سوى ان نتمناها

هذا ونسأله تعالى ان يبلغنا بمنه الآمال • ويختم لنا ولجميع اخواننا بحسن العاقبة والمآل • بحرمة شمس الكمال وبدر التمام • عليه وآله اتم التحية والسلام

